القائد الإسلامي
عماد الدين الزنكي
رحمه الله

د. أيوب درباس
الكلي

The Islamic Leader
Emad Ad Din Aq Sanqar Al Zanki (RIP)

PhD. Ayoub Derbas Al Gully

The researcher talked about an important era of the Islamic history (Al Atabaket Nation) ,which ruled north of Iraq from (Mosul) to Shahrazour east (Kirkuk and Sulaymania) and near Syria sea shores west ,,and from Diyarbakir and the Kurds Mountains north to Haditha south ,the researcher talked about the leader role (Emad Ad din Aq Sanqar) in establishing his nation and fixing the foundations of governance ,and the reasons that helped him in achieving his means to reach the highest rule ,and he mentioned how he got the authority from the Seljuk ,and his role in fighting the Crusaders ,the researcher also focused on the political details for the Atabaket through the ruling system details and the judiciary system which based upon the Al-Shafi‘i doctrine that Atabaket gave it a great importance and they put on the head of this system a high reference known as (the Judge of the Judges) ,the financial system and the Atabaket concern didn’t neglect the coinage ,he also mentioned their concern in Military organization and formation of the systemic armies to keep the nation safety ,the researcher showed the social life in the Atabaket era and the people varieties and their religious differences .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين .

أما بعد: من حق الشعوب أن تسعى وأن تناضل من أجل الحصول على المكاسب المشروعة ، وقد برز في الساحة التاريخية الأتابكة ، وأسسوا دولة الأتابكة في الموصل .

كما ثبت أنهم قدموا خدمات جليلة للحكم السلجوقي ، ومن خلال جهدهم برزوا في الساحة ، ويعدّ عماد الدين أق سنقر أول مؤسس للدولة الأتابكية ، وأستطاع أن يبرز هوية ناجحة لبني جلدته (التركمان) ، وأن يؤسس عدة أقاليم وإمارات من العرب والترك والكرد ، وكان حصول نجاح عماد الدين الأتابكي إلى سدة الحكم لعدة أسباب:

أولاً: أخلاصه لأمراء السلاجقة .

ثانياً: نجاحه في التصدي للغزو الصليبي على بلاد الإسلام .

ثالثاً: جهده في وحدة القبائل التركمانية في عدة مناطق .

رابعاً: ضم الأمارات الكردية في العمادية وهكارية وأربل[1] وديار بكر ، وغير ذلك من الأمارات الكردية تحت إدارة الدولة الأتابكية .

خامساً: لا شك أنه قائد وفارس شجاع وبطل لأنه أوصل شعبه إلى العالم المتحضر ، وقاتل الغزاة الصليبيين وأخيراً قُتل شهيداً ، وترك أرثاً كبيراً لأمته التركمانية .

وبعد هذا الفصل السريع قسمت هذا البحث إلى فصلين ، وكل فصل يتضمن عدة مواضيع مهمة ، وكما هو مبين أدناه :

الفصل الأول: ويتكون من مبحثين:

---

[1]- أربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض ، وهي تشبه قلعة حلب إلا أنها أكبر ، وهي بين الزابين / معجم البلدان للحموي ج٤ ص١٨٦ / ط طهران مكتبة الأسدي .

المبحث الأول:

أ- مكانة آق سنقر لدى السلجوقيين .

ب- سيرة عماد الدين الزنكي الأتابكي .

ج- معنى كلمة الأتابكة .

د- حدود الأمارة الأتابكية .

هـ- وفاة عماد الدين زنكي .

المبحث الثاني:

أ- كيفية تسلم السلطة من السلجوقية .

ب- دور عماد الدين الزنكي في محاربة الصليبين .

ج- الموصل في ظل دولة عماد الدين الزنكي

الفصل الثاني: ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول:

أ- نظام الحكم في دولة الأتابكة في الموصل .

ب- النظام القضائي في الدولة الأتابكية .

ج- النظام المالي في الدولة الأتابكية .

د- النظام الحربي في الدولة الأتابكية .

ح- الحياة الأجتماعية في ظل الدولة الأتابكية من العرب والكرد والتركمان واليهود .

و- المنشأت الدينية .

الفصل الأول
المبحث الأول:
مكانة أق سنقر لدى السلجوقيين

بعد وفاة أرسلان إلى ولده ملكشاه حفظ لاق سنقر صنجة ، وقدمه وقربه إليه ، وجعله من أعيان دولته وأكابر أمرائه ، واخص أوليائه ، واعتمد عليه في أموره كلها ، فعلت مرتبته إلى أن لقب بقسيم الدولة[١] ، وتولى قسيم الدولة إلى سنقر مدينة حلب واعمالها[٢] وحماه[٣] و( )[٤] واللاذقية[٥]-[٦] ، وذلك في سنة ٤٨٠ هـ ، وكان موفقاً في إدارة شؤون البلاد فنشر الأمن ، وحفظ النظام ، وأنصف الرعية ، وحصل له بذلك من الصيت، وحسن الذكر ، وتضاعف الثناء والشكر[٧] .

كما لعب أق سنقر دوراً هاماً في توطيد دولة السلاجقة في عهد السلطان ملكشاه ، فخاض عدة معارك ، وافتتح عدد من المدن[٨] ، وبعد وفاة ملكشاه تنازع ولديه بركيا روق ومحمد ، واستمرت الحرب بين الأخوين أثنا عشر عاماً حتى وفاة بركيا روق، حيث أستقر الأمر والسلطة لأخيه محمد بن ملكشاه[٩] ، وقد دافع قسيم الدولة أي أق سنقر عن عرش بركيا روق بن ملكشاه ضد أطماع عمه تاج الدولة تتش ، وضحى بنفسه أعترافاً منه بفضل صاحبه وولي نعمته ملكشاه ، وأصبح يدافع عن بركيا روق إلى أن قتل في معركة بين جيش

---

[١]- الباهر لأبن الأثير ص٤ .

[٢]- ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس ص١١٩ ، البداية والنهاية لأبن كثير ج١٢ ص١٤٧ / مصر مطبعة السعادة.

[٣]- ذيل تاريخ دمشق ص١١٩ .

[٤]- المصدر نفسه ص١١٩ .

[٥]- المصدر نفسه ص١١٩ ، البداية والنهاية لأبن كثير ج١٢ ص١٤٧ / مصر مطبعة السعادة .

[٦]- اللاذقية أحدى محافظات الجمهورية العربية السورية ، أنظر: خريطة جمهورية سوريا في الملحق.

[٧]- ذيل تاريخ دمشق ص١١٩ لأبت القلانس .

[٨]- أشترك قسيم الدولة في الحملة على الموصل سنة ٤٧٧ هـ مع عميد الدولة بن جهير ، والأمير أرتق ، ومعهم جموع التركمان ، ثم اشترك في فتح مدينة شيراز سنة ٤٨١ هـ ، والاستيلاء على حمص سنة ٤٨٣ هـ ، وملك الرحبة وتكريت / تاريخ دولة سلجوق للبزاري ص٧١ / ط مصر سنة ١٩٠٠م .

[٩]- الباهر ص١٢ لأبن الأثير ، الروضتين لأبو شامة ج١ ص٦٠ .

بركيا روق وجيش تتش في منطقة الشام[١] حيث عبر جيش تتش من نهر العاصي[٢] ، وذلك سنة ٤٨٠ هـ .

وكان انهزام جيش قسيم الدولة أي أق سنقر عند تل السلطان بظاهر حلب[٣] على يد تاج الدولة تتش السلجوقي ، فأصبح أسيراً ثم قتله تتش سنة ٤٨٧ هـ ، ولم يخلف قسيم الدولة أق سنقر غير ولده عماد الدين حيث كان عمر عماد الدين عند قتل والده عشر سنوات ، ولم ينسى بركيا روق ما قدمه والد عماد الدين من تضحيات في سبيل عرشه ، فتعهد عماد الدين برعايته وأولاه اهتمامه ، وكان عماد الدين آن ذاك مقيماً في حلب فالتفت حوله مماليك أبيه أق سنقر وأصحابه ، وفيهم زين الدين علي كوجك بن بكتكين ، وكان صبياً أيضاً[٤] .

ولما استقر كربوغا في الموصل[٥] بعد أن ملك نصبين[٦] أمرهم بإحضار عماد الدين بن أق سنقر ، وقال هو أبن أخي ، وأنا أول الناس بتربيته فأحضره عنده ، وأقطعهم الاقطاعات السنية ، وجمعهم على عماد الدين ، واستعان بهم في حروبه ، واستطاع أن يضع حداً لغارات الأعراب[٧] وهجماتهم ، وأرغمهم على النزوح إلى الصحراء فزاد ذلك في قدره وارتفاع مكانته عند السلاجقة .

---

[١]– سميت شام نسبة لسام بن نوح عليه السلام / معجم البلدان للحموي ج٣ ص٨٣ / طبع طهران ، وقد أفتتح الشام سنة ١٣ هـ شذرات الذهب لأبن العماد الحنبلي ج١ ص٢٢ .

[٢]– نهر العاص هو أسم نهر حماه وحمص ينبع من بحيرة قدسي ، ويصب في البحر قرب انطاكية معجم البلدان للحموي ج٦ ص٩٦ / طبع مصر سنة ١٩٠٦م .

[٣]– الباهر لأبن الأثير ص١٥ ، مفرج الكروب لأبن واصل ج١٠ ص٢٦ .

[٤]– الباهر لأبن الأثير ص١٥ .

[٥]–لقد كان كربوغا مسجوناً لدى تتش تاج الدولة منذُ معركة تل سلطان حيث قتل في تلك المعركة قسيم الدولة أق سنقر ، وللمزيد من المعلومات أنظر: دولة الأتابكة في الموصل للدكتور رشيد العبيدي ص٣٣ / الطبعة الأولى دار النهضة العربية بيروت .

[٦]– نصبين مدينة عامرة في بلاد الجزيرة في ديار ربيعة الكبرى ، معجم البلدان للحموي ج٢ ص٥٨٤ – ج٥ ص٢٨٨ ، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي / تحقيق أيوب درباس / باب المواقع .

[٧]– مرآة الزمان لسبط أبن الجوزي ج٨ ص١٠٨ .

وعندما خرج دبيس بن صدقة في محرم سنة ٥١٧هـ لمحاربة الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة (٥١٢هـ – ٥٢٩هـ)[١] ، فلم يجد أصلح من عماد الدين الزنكي فأصبح يصرف الأمور لأن بغداد[٢] بل سائر جهات العراق .

وكانوا في الشجاعة في أعلى درجاتها[٣] ، وبقى عماد الدين في صحبة كربوغا صاحب الموصل إلى أن توفى كربوغا سنة ٤٩٤هـ[٤] ، وتعاقب على الموصل بعد وفاة كربوغا رجلان هما سنقرجه وموسى التركماني عامل كربوغا على حصن كيفا[٥] .

إلا أن عهدهما في الولاية كان قصيراً فتسلم الموصل الأمير جكر موش صاحب جزير أبن عمر[٦]–[٧] ، وكان جكر موش على علم بمكانة قسيم الدولة والد عماد الدين فقربه إليه وأكرمه ، وأتخذه ولداً إلى أن توفى سنة ٥٠٠هـ[٨] ، ثم خلف جكر موش على الموصل جاولي سقاوة فأتصل عماد الدين وخدمه إلى أن أعلن عصيانه على السلطان محمد سنة ٥٠٢هـ ، ففارقه زنكي وأنفصل عن خدمته[٩] .

وقد أثبت عماد الدين بموقفه من حركة جاولي مدى تمسكه بولائه للسلطان وتأييده له مما كان له أبعد الأثر في توثيق الارتباط بين السلطان وعماد الدين زنكي ، وفي سنة ٥٠٢هـ أقطع السلطان محمد الموصل للأمير أبن التوتكين فقرب عماد الدين وأشركه في حروبه ضد الصليبيين في بلاد الشام[١٠] .

سيرة عماد الدين بن أق سنقر الأتابكي

---

[١]– المسترشد بالله هو الفضل بن المستظهر الخليفة العباسي من سنة ٥١٢هـ إلى ٥٢٩هـ هزمه السلاجقة أُغتيل / المنجد لويس ص٥٣١ ط ٣٧ .

[٢]– بغداد عاصمة العراق على دجلة عاصمة الخلافة العباسية ، ومن عواصم الإسلام التاريخية أسسها المنصور العباسي ، وتسمى كذلك دار السلام / المصدر نفسه ص١٣١ / ط٣٧ بيروت لبنان .

[٣]– الباهر لأبن الأثير ص١٦ .

[٤]– ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس جـ١٠ ص١٤٠ .

[٥]– المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبن الجوزي ج١٠ ص١ ط٣ / حيدر أباد سنة ١٣٥٨هـ .

[٦]– المصدر السابق ج١٠ ص٣١ .

[٧]– مدينة في جنوب شرق تركيا قرب الحدود العراقية التركية .

[٨]– ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس ص١٥٦ .

[٩]– الباهر لأبن الأثير ص١٦ .

[١٠]– يقصد بذلك سوريا ولبنان وفلسطين والأردن / الباحث .

إنه ولد بحدود سنة ٤٧٧ هجرية تقريبا ، حيث إن والده توفي سنة ٤٨٧ هجرية ، حيث ورد في كتاب الباهر لأبن الأثير ص١٥: أنه عندما توفي والده قسيم الدولة السلجوقية كان عمر عماد الدين عشر سنوات[١].

لقد كان عماد الدين بن أق سنقر فارسا شجاعا شديد البأس عظيم الهيبة ملك الموصل[٢] وحلب[٣] وحماة[٤] وحمص[٥] وبعلبك[٦] والرها[٧] والمعرة[٨] .

وتولى شحنكية[٩] بغداد في أخر دولة المستظهر بالله[١٠] ، وقد استشهد في قلعة

---

[١]– الباهر لابن الأثير ص١٥

[٢]– الموصل: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام فهي باب العراق ، وسميت الموصل لأنها وصلتا بين الجزيرة والعراق وقيل بين دجلة والفرات / معجم البلدان للحموي مجلد ٥ ص٢٦٢ ، الأعلام والمواقع في القرآن الكريم ص١٠٥ ط٢ / أيوب درباس ، بهجة الأسرار للشيخ علي الشطنوفي كذلك لأيوب درباس .

[٣]– مدينة في شمال سورية تعرف بالشهباء عاصمة الحمدانيين سنة ٩٤٤/ المنجد لويس ص٢٢٣ ط٣٧.

[٤]– حماة: مدينة سورية على العاص ، وسط واحة خصبة على طريق حلب – دمشق ، فتحها العرب بقيادة أبي عبيدة ، وهي مركز تجاري وصناعي / المنجد لويس ص٢٢٤ ط٣٧ .

[٥]– حمص: مدينة سورية على العاص بين دمشق وحماة / المصدر نفسه ص٢٢٥ ط٣٧ .

[٦]– بعلبك: مدينة لبنانية وموقع أثري مركز قضاء في البقاع / المصدر نفسه ص١٣٠ ط٣٧ .

[٧]– الرها: عاصمة الآداب السريانية ، أسمها الآن أورفة ، فهي مدينة تركية / المصدر نفسه ص٨٣ ط٣٧ .

[٨]– لم أحصل على مصدر لتثبيت موقعها .

[٩]– الشحنكية: لفظ فارسي يعني محافظ المدينة ، وفي القاموس المحيط ج٤ ص٢٣٩ ، الشخص الذي فيه كفاءة بضبط البلد من جهة السلطان .

[١٠]– المستظهر بالله: أحمد بن المقتدى الخليفة العباسي ٤٧٨ – ٩١٢هـ ، ١٠٩٤ – ١١١٨م / المنجد لويس معلوف ط٣٧ .

جعبير[١] ، كان رحمه الله حسن الصورة اسمر مليح .

معنى كلمة الأتابكة

الأتابكة : كلمة مشتقة من أتابك ، وهو لفظ تركي مركب من المقطعين ، (أتا) معناها أب ، و(بك) يعني أمير فهي بذلك الوالد الأمير ، وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أولاد السلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم[٢] .

حدود الأمارة الزنكية

استطاع زنكي أن يؤسس في فترة قصيرة دولة قوية شملت حدودها ما بين شهرزور شرقا[٣] إلى قرب سواحل سوريا غربا[٤] ومن (أمد) ديار بكر[٥] ، وجبال الأكراد شمالا إلى الحديثة جنوبا .

وفاة عماد الدين الزنكي

إنه لقي مصرعه في شهر ربيع الأخر من سنة ٥٤١ إثناء حصاره قلعة جعبير[٦] إذ وثب عليه نفر من مماليكه وقتلوه غيلة واسم القاتل برقش[٧] فكان قتله خسارة فادحة للمسلمين حتى لقد صاح أهل القلعة أهل قلعة جعبر أنفسهم بالقاتل (لقد قتلت المسلمين كلهم)[٨] .

المبحث الثاني

---

[١]- أنظر هامش ص (١١) من هذا البحث .

[٢]- قاموس الأعلام / لأش سامي تركي ص٤٧٤ – ٤٧٥ / طبع دائرة المعارف المجلد الأول مادة (اتايكون) طبع ١٩٣٣م .

[٣]- نور الدين الصلبيون / لحبش ص٤٠ ، تاريخ العرب مطول / لفيليب حتى ج٣ ص٧٦٣ .

[٤]- يقصد بذلك الجمهورية العربية السورية وعاصمتها دمشق / الموسوعة العربية ج١ ص٨١ .

[٥]- يقول المؤرخون تعني شهرزور أي محافظة كركوك ، والسليمانية في جمهورية العراق ، وللمزيد من المعلومات أنظر: ذو القرنين من كتاب الأعلام والمواقع في القرآن الكريم / أيوب درباس .

[٦]- قلعة جعير تقع على نهر الفرات بين بلس والرقة / ياقوت الحموي ج٢ ص٨٤ .

[٧]- الكامل / لأبن الأثير ج١١ ص١١٠ ، ذيل تاريخ دمشق لأبن قلانس ص٢٨٤ – ٢٨٥ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب / تأليف الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد أبن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩هـ / دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج٤ ص٢٩٢ / طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

[٨]- الحركة الصليبية / عاشور ج٢ ص٦١٠ .

كيفية تسلم السلطة من السلجوقيين

بعد وفاة ملكشاه بن ألب أرسلان في سنة ٤٨٥هـ وتصدع الدولة السلجوقية[١] ، وانقسام السلاجقة على أنفسهم مما زادة في أضعافهم ، قام أمراء الأتابكة بضم ما يمكن السيطرة عليه من الأراضي الزراعية إلى أمارتهم .

حيث كان هؤلاء الأتابكة هم أصحاب النفوذ الفعلية في البلاد التي يعهد إليهم بالحكم فيها ، وأصبحوا (ص٢٠ س٨) مستقلين عن الحكومة المركزية[٢] ، ومعظمهم مؤسسي الأتابكيات من المماليك الذين جلبوا بلاد القفجاق[٣] ، وتولوا مناصب رفيعة في الجيش والبلاط ، لما كانوا يتمتعون به من قوة البدن والنظام البدوي الذي كانوا يعيشونه[٤] على اخذ السلطة لمسعود الذي كان مقيماً مع جيوش بيك في الموصل[٥] ، فأبدى عماد الدين معارضته الشديدة لهذا العمل .

وكان يحث جيوش بك على ترك العصيان ، وينصحه بالولاء للسلطان محمود وطاعته[٦] ، وقد بلغ موقفه هذا للسلطان ، فقدر السلطان له هذا الموقف حيث لما أقطع الموصل لأق البرسقي سنة ٥١٥هـ[٧] أشار عليه السلطان بتقديم زنكي والوقوف عند إشارته ففعل .

---

[١]– السلجوقية: سلالة من التركمان جدهم سلجوق تفرعت وحكمت إيران وأسيا الصغرى والعراق وسوريا / المنجد لويس ص٣٧ ، ص٣٠٣ بيروت .

[٢]– الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي ص٩٤ .

[٣]– انظر الخرائط في الملحق .

[٤]– تاريخ العراق في العصر السلجوقي / حسين أمين ص٢٠٩ .

[٥]– الباهر / لأبن الأثير ص٢٢–٢٣ ، مفرج الكروب / لأبن واصل ج١ ص٢٩ ، وفيات الأعيان / لأبن خلكان ج٢ ص٩٣ .

[٦]– الباهر / لأبن الأثير ص٢٣ .

[٧]– أق سنقر البرسقي: هو أبو سعيد أق سنقر البرسقي الغازي الملقب بـ(قسيم الدولة) سيف الدين من مماليك السلطان غفرلنك ، وكان من الأمراء المعدودين من أعيانهم / وفيات الأعيان لأبن خلكان ج١ ص٩٩٥ .

وفي سنة ٥١٦هـ أقطع لعماد الدين زنكي مدينة واسط ، ثم ولي شحنكية البصرة ، فهنا أظهر عماد الدين زنكي كفاية أدارية ، وقدرة عسكرية فائقة ، فأصبح من الصعب السيطرة عليهم من قبل الحكومة المركزية[١] .

ومن أشهر الأتابكيات في العالم السلجوقي أتابكة الموصل التي أسسها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١هـ ١١٢٧م مع العلم كان هناك أتابكة في خوارزم[٢] ودمشق[٣] وأرمنية[٤] وأذربيجان[٥] وفارس[٦].

دور عماد الدين الزنكي في محاربة الصليبيين

اعتباراً من سنة ٥٠٧هـ تجلت شجاعة زنكي وبسالته ودرايته في الحروب ضد الصليبيين أثناء حصار طبرية[٧] ، وتولى عماد الدين زنكي الموصل[٨] بعد قتل مودود

---

[١]– تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٢١٠ .

[٢]– أتابكية خوارزم: تنسب هذه الأتابكية إلى محمد خوارزم شاه أبن أنو شكين / النظم الإسلامية لحسن إبراهيم حسن ص١٠٣ ط مصر سنة ١٩٢٩م .

[٣]– أتابكية دمشق: ينتسبون إلى طفتكين ظهير الدين أتابك أحد قواد الجيش السلجوقي ومملوك السلطان تتش / ذيل تاريخ دمشق / لأبن القلانس ص١٢٤ ، الكامل / لأبن الأثير ج١١ ص٩٧ .

[٤]– أتابكة أرمنيا: أسسها سقمان القطبي مملوك قطب الدين إسماعيل الحاكم السلجوقي في مدينة مرند أحدى مدن أذربيجان / الكامل / لأبن الأثير ص١٢٦ – ١٢٧ ، الشرف الإسلامي / حافظ حمدي ص١٠٨ .

[٥]– أتابكة أذربيجان: ينتسيبون إلى بلدكز أحد مماليك السلطان محمد على إقليم أران – أرانية في شمال أذربيجان ثم أتسع ملكه فشمل معظم أذربيجان / الكامل / لأبن الأثير ص٢٨٨ – ٢٨٩ .

[٦]– أتابكة فارس: تنسب هذه الأتابكية إلى سلفر قائد أحدى قبائل التركمان التي هاجرت إلى خرسان ، وأنضمت إلى طغرلنك ثم لهولاكو عندما أجتاح الأراضي الإسلامية / الشرق الإسلامي / حافظ حمدي ص١٠٩ – ١١٠ .

[٧]– ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس ص١٨٥ ، الباهر لأبن الأثير ص١٨ .

[٨]– مر ذكر الموصل هامش(٢) ص(٩) من هذا البحث .

على أيدي الباطنية[١] في المسجد الجامع بدمشق[٢] في سنة ٥٠٥هـ[٣] .

وأشترك عماد الدين في صد الصليبيين في مدينة سميساط[٤] مع الأمير جيوش بك ومسروج[٥] ، وأبلى عماد الدين في كل هذه المواقع بلاءً حسناً ، وبقى عماد الدين مصباحاً لجيوش بك حتى أعلن هذا الأخير عصيانه على السلطان محمود ، وذلك عندما عمل جيوش بك على آخذ ، وقد أبدى عماد الدين الزنكي الكثير من ضروب الشجاعة والأقدام في قمع حركة دبيس ، فقد حمل على عسكر دبيس مقدم رجاله عنتر بن أبي عسكر الكردي[٦] .

وبعد هذه الموقعة أمر السلطان محمود أق سنقر البرسقر بالعودة إلى الموصل[٧] ومدافعة الصليبيين في بلاد الشام فعاد البرسقر إلى ولايته ، وشرع في التأهب للجهاد ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي بالبصرة[٨] يستدعي إليه[٩] ، إلا أن عماد الدين لم يستجب لرغبة البرسقي ، وأثر في خدمة السلطان السلجوقي إلى السلطان محمود السلجوقي[١٠] ، ولما عزم السلطان محمود على السير إلى همذان في ربيع الأخر سنة ٥٢١هـ .

نظام الحكم في دولة أتابكة الموصل[١١]

تأثرت نظم الحكم عند أتابكة الموصل تأثيراً كبيراً بما كان سائداً من هذه النظم عند السلاجقة ، ذلك أن عماد الدين الزنكي مؤسس دولة الأتابكة في الموصل طبق التنظيمات

---

[١]– حركة معادية للدين الإسلامي الحنيف / الباحث .

[٢]– دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية ، وتقع بجنوبها نهر بردى أستولى عليه الفرس والرومان وغزها الأسكندر الأكبر سنة ٣٢٢ ق.م ، للمزيد من المعلومات أنظر تفسير روح المعاني للألوسي مجلد ٤ ص٦٠ – ص١٥٦ ، الأعلام والمواقع للدكتور أيوب درباس .

[٣]– ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس ص١٨٧ ، وفيات الأعيان لأبن خلكان ج١ ص٩٩ .

[٤]– مدينة على شاطئ الفرات الغرب / ياقوت الحموي ج٥ ص١٣٨ – ١٣٩ .

[٥]– مسروج بلدة قريبة من ( ) من ديار مضر / ياقوت الحموي ج٥ ص٧٧ .

[٦]– مرآة الزمان لسبط أبن الجوزي ج٨ ص١٠٩ – ١١٠ .

[٧]– مر ذكر الموصل في هامش(٢) ص(٩) من هذا البحث .

[٨]– البصرة للمزيد من المعلومات أنظر: خريطة جمهورية العراق في الملحق .

[٩]– الباهر لأبن الأثير ص٢٧ .

[١٠]– المصدر نفسه .

[١١]– الموصل تم ترجمتها هـ ( ) ص ( ) .

الإدارية والعسكرية التي كانت معروفة عند السلاجقة ، والتي كان زنكي متأثراً بها كل التأثير بحكم خدمته الطويلة لأمراء السلاجقة الذين تعاقبوا على حكم الموصل من سنة ٤٨٩هـ – ٥٢٠هـ وملازمتهم لهم ، وكان زنكي آن ذاك يقوم ببعض الأعمال الرسمية لولاة الموصل ، ومن المعلوم لما ألت إليه الموصل سنة ٥٢١هـ نقل النظم الإدارية والعسكرية في دولته الفتية.

وعلى هذا النحو جاءت نظم الحكم للأتابكة مشابهة متشابهاً واحداً لنظائرها السلجوقية، فأتخذ الأتابكة الوزراء والحجاب والنواب ، وعينوا أمراء للجيش ، وولاة في المدن الثابتة للأتابكة بل وأقتبسوا الألقاب أيضاً [١] مع العلم كان أتابكة الموصل يتولون بأنفسهم قيادة جيوشهم إلا فيما ندر حيث كانوا يقدمون على عزل ولاتهم ونوابهم عندما يثبت لهم عدم كفاءتهم أو ظلمهم للرعية ، وفيما يلي بعض الوظائف العليا:

١- الأتابك كذلك كان يلقب بالملك .

٢- نائب الملك أو دز دار القلعة .

٣- الوزير .

٤- الحاجب .

الموصل في ظل عماد الدين زنكي

مضى عماد الدين بعد صدور قرار توليته للموصل إلى هذه المدينة وتسلمها من الأمير جاوبي ، وأقطعه الرحبة وأعمالها ، وشرع زنكي في إخضاع المناطق التابعة لها وتقرير قواعد الحكم بها ، وأختار لذلك رجالاً أكفاء يثق بهم[٢] .

وكانت سياسة زنكي تهدف إلى تكوين جهة إسلامية يتمكن من الوقوف في وجه الصليبيين نوعاً إلى توحيد جهود المسلمين ، وحشد قواعدهم لقتل الصليبيين ، ووضع بذلك أساس حركة الجهاد ضد الفرنج[٣] ، وكان أول عمل قام به عماد الدين هو توجيه إهتمامه نحو الأمارات والمدن المجاورة والقلاع الكردية ، فعمل على ضم هذه الأمارات وأخضاعها

---

[١]- الألقاب الإسلامية لحسن الباشا ص٦٤ ط مصر سنة ١٩٥٧ .

[٢]- دولة الأتابكة في الموصل للدكتور رشيد الجميلي ص٤٦ / طبع دار نهضة بيروت .

[٣]- دولة الأتابكة في الموصل للدكتور رشيد الجميلي ص٤٦ ، الكامل في التاريخ للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الأثير ج١٠ ص٦٥ ، طبع دار أحياء التراث / بيروت لبنان .

تحت زعامته ، وتمكين نفوذه فيها حيث أدرك أنه لا يستطيع أن يضمن السلطة إلا بهذه الطريقة .

ويقول إبن الأثير في كتاب الكامل: إن عماد الدين الزنكي أستولى على القلاع الكردية منها العمادية[١] والشعبان[٢] سنة ٥٢٨هـ ، مع العلم إن عماد الدين زنكي فتح العمادية سنة ٥٣٧هـ ، وكان الكرد يسكنون في القلاع المحيطة بالموصل[٣]-[٤] مثل الهكارية[٥] والحميدية[٦] ، وأما التركمان فكانوا يسكنون الموصل وبعض مناطق ملاحقة .

النظام القضائي في الدولة الأتابكية

كان القضاء في الموصل يقوم على المذهب الشافعي ، وقد أولى الأتابكة اهتمامهم بشؤون القضاء فجعلوا على رأس هذا الديوان مرجعاً أعلى عرف بـ(قاضي القضاة) ، ولم يكن هذا المنصب مستحدثاً في العصر العباسي بل عرف منذُ أوائل العصر العباسي ، وأول من تلقب قاضي القضاة في بغداد هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب كتاب الخراج الذي ولي القضاء في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ومنصب قاضي القضاة منصب ديني رفيع لا يتولاه إلا من تتوفر فيه الشروط التي تؤهله للقيام بهذه الوظيفة ، وهو أن يكون رجلاً مسلماً ، صحيح التمييز ، جيد الفطنة ، بعيدً عن السهو والغفلة ، وأن يكون (ص٣٢س٢) سليم السمع والبصر ، عالماً بالأحكام الشرعية[٧] .

ومن أهم واجباته: الفصل في الخصومات ، وفرض العقوبات على الذين يخرجون عن الشريعة الإسلامية ، والوصايا على اليتامى والمجانين والقاصرين ، إدارة المؤسسات الدينية ، وإمامة الناس في صلاة الجمعة ، وتعيين القضاة في الولايات[٨] .

---

[١]- تقع قلعة العمادية شمال شرق محافظة دهوك ، للمزيد من المعلومات أنظر خريطة رقم ١ / الباحث.

[٢]- تقع قلعة شعبانية في شرق شمال مدينة زاخو ، للمزيد من المعلومات أنظر: خريطة العراق في الملحق / الباحث .

[٣]- أنظر الهامش رقم (٣) ص (٧) .

[٤]- صورة الأرض لأبن قوفل ص١٩٥ / ط بيروت .

[٥]- الهكارية: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلدة جزيرة أبن عمر يسكنها الأكراد يقال لهم الهكارية ، وهم الآن ضمن جمهورية تركيا ، للمزيد من المعلومات أنظر: خريطة الجمهورية التركية في الملحق .

[٦]- من اعمال الوصل / الباحث .

[٧]- الأحكام السلطانية للماوردي ص٥٣ – ٥٤ ، ط مصر سنة ١٩٠٩ .

[٨]- المصدر نفسه ص٥٣ .

النظام المالي في دولة الأتابكة

أولاً: ديوان المال: كان للأتابكة في الولايات لجباية الضرائب ، وإرسالها إلى بيت المال في الموصل ، وكانت ضريبة الخراج التي تؤخذ على الأرض الزراعية ، وكانت الأرض تقاس بوحدة قياسية أطلق عليها الجريب[١] ، وكانت هذه الأموال تجمع في بيت المال ، وينفق منها على شؤون الجيش ، وأعمال التحصين ، وترميم المساجد ، وبناء المدارس والجسور والقناطر والمستشفيات[٢] ، ولكن يبدوا بأن ضرائب الأرض كانت كبيرة في عهد الزنكي[٣] .

ثانياً: العملات في العصر الأتابكي: أهتم أتابكة الموصل بضرب العملات الخاصة بأقاليمهم منذُ عهد عماد الدين زنكي ، وسار على هذا النهج خلفائه في الموصل[٤] ، بالإضافة إلى الدنانير الذهبية ، وأستعمل الأتابكة عملة أخرى هي الفلوس النحاسية في إدارة ديوان الجند ، وكان النظم العسكرية على نظام السلجوقي حيث مان الفرنج يخافون من خططهم .

كما أنه أعتمد على فريق التركمان ، والخرسانيين ، والحلبيين ، والبدو ، والأكراد ، وكان الجيش في زيادة ونقصان ، لأن الخدمة العسكرية كانت أجبارية على بعض أهل المدن من القريبة من مراكز الصليبيين ومراكزهم[٥] ، وكان هنالك فرق أخرى من الجيش الأتابكي ، فكان عملهم بناء الأسوار ، وقطع الصخور ، وحفر الخناق ، وكان سلاح جيشه (القوس – الترس – الرمح (ص٣٥س٩)) ، وكان هناك فرق أخرى في الجيش الأتابكي (السيف – الهراوة)

النظام الحربي

أهتم الأتابكة بالتنظيمات العسكرية في بلادهم فكونوا الجيوش النظامية القادرة على الدفاع عن حدود دولتهم من جهة ، وللإيفاء بالتزام الأتابكة عسكرياً أمام السلطان السلجوقي من جهة أخرى .

---

[١]– الجريب: مقياس للأرض يساوي ٢٦٠٠ ذراع مربع / تاريخ الموصل للصباغ ج١ ص١٤٧ .

[٢]– الحضارة الإسلامية / ماجد ص٤٢ .

[٣]– الباهر لأبن الأثير ص٧٩ .

[٤]– العملة الأساسية في العهد الأتابكي لباقرالحسين ص٤٥ – ٤٦ .

[٥]– الحضارة الإسلامية / ماجد ص٤٢

وكان الزنكي يشرف بنفسه على الجيش فأنشاء ديواناً للجند ، وجعل زنكي على رأس هذا الديوان رجلاً يعرف بأمير حاجب[١] ، وكان واجباته الأنصاف بين الأمراء والجند ، وتارة بمشاورة السلطان ، وتارة بمراجعة النائب .

كذلك كان من واجب أمير الحاجب النظر في مخاصمة الأجناد ، وأختلافهم في أمور الأقطاعات ونحو ذلك[٢] في أدارة ديوان الجند ، وكان النظام السلجوقي حيث كان الفرنج يخافون من خططهم[٣] ، كما أعتمد على فريق التركمان ، والخرسانيين ، والحلبيين ، والبدو ، والأكراد ، وكان الجيش في زيادة ونقصان ، لأن الخدمة العسكرية كانت أجبارية على بعض أهل المدن من القريبة من مراكز الصليبيين[٤] ، وكان هنالك فرق أخرى من الجيش الأتابكي ، فكان عملهم بناء الأسوار ، وقطع الصخور ، وحفر الخناق[٥] .

وكان سلاح جيشه (القوس – الترس – الرمح المصنوع – السيف) ، وقد رأى الزنكي أنه من الأنسب له في تلك الآونة مهادنة جو سلين صاحب الرها ، ويتفرغ لإصلاح البلاد وحشد الأخبار لضم أمارة حلب ، فقد كان من أهم الأمور إليه أن يعبر الفرات إلى الشام[٦] ويملك مدينة حلب[٧] وغيرها من البلاد الشامية .

وبهذه الطريقة أستولى على حلب وقلعتها في شهر المحرم لسنة ٥٢٢هـ ، وبعد ذلك وجه زنكي أهتمامه نحو القلاع الكردية المحيطة ببلاده من الشمال ، وكانت هذه القلاع

---

[١]– عماد الدين الزنكي / رسالة ماجستير عن التاريخ الإسلامي / عماد الدين خليل ص١٩٢ بغداد سنة ١٩٦٥ .

[٢]– الخطط للمقريزي ج٢ ص٢١٩ .

[٣]– للمزيد من المعلومات أنظر: ( ) أثر ( ) في التاريخ عن حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية ط دار اليقظة القومية ص٦٩ بيروت .

[٤]– عماد الدين زنكي / عماد الدين خليل تاريخ ( ) رسالة ماجستير ص١٩٩ .

[٥]– الفتح المقدسي / العماد الكاتب ص٢٣١ – ٢٣٢ .

[٦]– الشام سبق ذكرها في هامش ( ) ص ن ويقصد الآن بالشام الجمهورية السورية ، أما من حيث كتب كتب الجغرافية يقصد بالشام (سوريا – لبنان – فلسطين – الأردن) الباحث

[٧]– حلب: أنظر هامش ص ( ) من هذا البحث .

تشكل خطراً حقيقياً على أمارته فأستول في سنة ٥٢٨هـ على قلاع الأكراد الحميدية منها قلعة شوش[١] والعقد[٢] وغيرها .

البريد في خدمة الأغراض الحربية

أهتم عماد الدين الزنكي مؤسس دولة الأتابكة في الموصل فكان ينفق الأموال بسخاء على شؤون البريد والقائمين عليه حيث يقول أبن الأثير: فمن أرائه الصائبة أنه كان شديد.

الحياة الأجتماعية

أولاً: طباقات السكان في الموصل:

أ- العرب حيث كانت أولى القبائل العربية التي دخلتا الموصل أبان حركة الفتح الإسلامي لبلاد الجزيرة هي تغلب وأياد والنمر ، وكانت ترافق (ص٤٣س٥) عندما سار بجيوش المسلمين إلى الموصل وبلاد الجزيرة[٣] .

ب- الأكراد والتركمان حيث معظم سكان الموصل في القرن الرابع الهجري كانوا ينتمون إلى الأكراد الهذبانية والحميدية والأرية .

ثانياً: الطوائف الدينية:

أ- المسلمون فهم على المذهب الشافعي والحنفي[٤] .

ب- النصارى مع العلم لم يكن بالموصل قبل الفتح الإسلامي سوى محلتان يسكن أحدهما المجوس من الفرس ، ويسكن الثانية (الجرامقة) النصارى .

ويقول إبن حوقل: إنه كان يسكن نينوى قوم من الشهارجة النصارى الأثرياء .

---

[١]- الشوش قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل ، وهي أعلى من العقد وأكبر / ياقوت الحموي ج١٢ ص٣٧٢ .

[٢]- العقد قلعة حصينة في جبال الموصل أصلها أكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقد الحميدية ، والعقد أيضاً قرية بين تكريت والموصل / ياقوت الحموي ج١٢ ص١٣٦ .

[٣]- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ج٤ ص٣٦ .

[٤]- صورة الأرض لأبن حوقل ص١٩٥ ط بيروت .

ج- طائفة من اليهود[١]-[٢] .

المنشآت الدينية في الموصل

أولاً: الجامع الأموي: هو أول جامع أسس في الموصل في صدر الإسلام فقد كان خطة المسلمين في أول عهدهم بالفتوحات أن يؤسسوا جامعاً في كل مدينة يتم لهم فتحها[٣]، وعلى هذا الأساس فأن هذا الجامع الذي عرف فيما بعد بالجامع الأموي وهو أول مسجد جامع بني في الموصل في خلافة الإمام عمر (رضي الله عنه) ، وقد ولى على الموصل (ص٤٣س٧) بن عرفجة البارتي فأنزل العرب منازلهم وأختط لهم ثم بنى المسجد الجامع[٤] ، فأهتم الأتابكة بعمارة المسجد الجامع[٥]-[٦] .

---

[١]- اليهودية منطقة قديمة في فلسطين أطلق بعد الحبراء على مملكة اليهودية عاصمتها أورشليم / المنجد لويس ص٦٢٢ ط ٣٧ بيروت لبنان .

[٢]- اليهودية دين سماوي ، وكان نبيهم موسى (عليه السلام) ، وللمزيد من المعلومات راجع كتاب افعلام والمواقع في القرآن الكريم للباحث أيوب درباس الكلي .

[٣]- التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى لعبد العزيز سالم المجلة عدد ٩ ص٥٤-٦٣ سنة ١٩٥٧ .

[٤]- فتح البلدان للبلاذري ص٣٣١ ط ليدن .

[٥]- الفتوحات الإسلامية لأديماند ص١٠٠ .

[٦]-لم يزل أثار سور الجامع موجوداً ، وقد بني في جانب منه جامع صغير ويسمى الآن بجامع (المصفى) أي باسم الشخص الذي عمر المسجد / الباحث .

الـخـاتـمـة

خلق الله عز وجل البشرية وجعلهم أمماً وقبائل من أجل التعارف والتكاتف ، وخصص من الأمم أنبياء ورسل وملوكاً ورؤساء وقادة عظام فكما أن الله عز وجل خلق الجبال والمواقع من الدنيا كلها ولكن ميز بعض الجبال والوديان والمواقع بالبركة والقدسية مثل قوله تعالى: (وإذا ناداه ربه بالوادي المقدس طوى)[1]–[2] ، ومكة المكرمة والقدس الشريف والمدين المنورة ، وجبل الجودي ، وكما خلق الله عز وجل جميع النجوم ولكن فضل كوكب الشمس والقمر على باقي الكواكب .

فهذه سنة الله عز وجل في خلقه فعلينا أن نحترم من سبقنا من قادة عظام من الذين كرسوا حياتهم من أجل أعلاء راية الإسلام ، وفي نفس الوقت أنهم خدموا الإسلام وخدموا شعبهم ، فالقائد نور الدين الزنكي له الأثر الكبير في محاربة الصليبيين في معركة حطين الفاصلة كان بفضل نور الدين الزنكي ، لأن الزنكي بنى الأساس ، وأن القائد صلاح الدين سار على نهجه الصحيح والمستقيم حتى نصره الله – عز وجل – وأعاد لأمة الإسلام أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومهبط الأنبياء والمرسلين – القدس الشريف – فجزاهم الله خير الجزاء .

الباحث

---

[1]– سورة النازعات آية ١١ .

[2]– بطوى أي من أسفل جبل طور سيناء ، وقالت فرقة بأن طوى أسم الوادي / التفسير الواضح الميسر لمحمد بن علي الصابوني ص١٥٢٥ ، الإعلام والمواقع أيوب درباس الكلي ص٢٤٤.

المصادر والمراجع

الأحكام السلطانية / للماوردي .

أثر التسليح في التاريخ / فوللر .

الأعلام والمواقع في القرآن الكريم / أيوب درباس .

الألقاب الإسلامية / حسن الباشا .

الباهر / لأبن الأثير ، تحقيق عبد القادر .

بهجة الأسرار ومعدن الأنوار / للشيخ علي الشطنوفي عن كرامات سيدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني – قدس الله سره – تحقيق أيوب درباس .

تأريخ الرسل والملوك / محمد بن جرير الطبري .

تأريخ العراق في العصر السلجوقي / حسين أمين .

التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى / عبد العزيز سالم .

جمهورية مهاباد الكردية / أيوب درباس .

الحركة الصليبية / عاشور .

الخطط / للمقريزي .

دولة الأتابكة في الموصل / الدكتور رشيد الجميلي .

ذيل تاريخ دمشق / لأبن قلانس .

الروضتين / لأبو شامة .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي الحنبلي ، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .

الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي .

صبح الأعشى / القلقشندي .

صورة الأرض / لإبن حوقل ط بيروت .

عماد الدين الزنكي / عماد الدين خليل .

العملة الإسلامية في العهد الأتابكي / باقر الحسين .

الكامل / لإبن الأثير .

مفرج الكروب / لإبن واصل .

المنظم في تاريخ المغول والأمم / لإبن الجوزي .

مرآة الزمان / سبط إبن الجوزي .
النظم الإسلامية / حسن إبراهيم حسين .
نور الدين والصليبيون / حبشي .
وفيات الأعيان / لإبن خلكان .